سلسلة كتيبات شبكة بينونة

الصبر على البلاء

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

الصَّبر على البلاء

الصبر على البلاء

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ آله وصحبه وسلم، أما بعد،

الصَّبْرُ نقيض الجَزَع، وأَصله الحَبْس، وكل من حَبَس شيئًا فقد صَبَرَه، والصبر: حبس النفس عن الجزع.

الصبر هو حبس النفس عن محارم الله، وحبسها علىٰ فرائضه، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره.

الصبر على بلاء الدنيا:

لقد أخبرنا الله تعالىٰ بطبيعة الحياة الدنيا، وأنها خلقت ممزوجة بالبلاء والفتن فقال: «**لقد خلقنا الإنسان في كبد**» أي مشقة وعناء، وأقسم علىٰ ذلك بقوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ

﴿ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٧] وإذا أطلق الصبر فلا يكاد ينصرف إلىٰ غيره عند كثير من الناس.

الصبر من أكثر الأخلاق التي اعتنىٰ بها دين الإسلام؛ لذا تكرر ذكره في القرآن في مواضع كثيرة. قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعًا»**.

وقد سيق الصبر في القرآن في عدة أنواع ذكرها ابن القيم في كتابه **«عدة الصابرين»** ونحن نذكر بعضها:

أحدها: الأمر به، كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] وقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨].

الثاني: النهي عما يضاده، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل

لَهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ [القَلَم:٤٨].

الثالث: تعليق الفلاح به، كقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور.

الرابع: الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين، كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [القصص: ٥٤] وقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠].

الخامس: تعليق الإمامة في الدين، به وباليقين، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤].

ثانيًا: الترغيب في الصبر في السنة النبوية

- خرج الإمام مسلم في صحيحه عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

قوله: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ**». أي: أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أظهر العجب علىٰ وجه الاستحسان لأمر المؤمن، أي: لشأنه، فإنَّ شأنه كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن.

ثم فصل الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا الأمر الخير فقال: «**إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». هذه حال المؤمن وكل إنسان، فإنه في قضاء الله وقدره بين أمرين: إما سراء وإما ضراء، والناس في هذه الإصابة ينقسمون إلىٰ قسمين: مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن علىٰ كل حال ما قدر الله

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

له فهو خير له، إن أصابته الضراء صبر علىٰ أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر علىٰ الله فكان خيرًا له، فنال بهذا أجر الصابرين.

وإن أصابته سراء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

فيشكر الله فيكون خيرًا له، ويكون عليه نعمتان: نعمة الدين ونعمة الدنيا، نعمة الدنيا بالسراء، ونعمة الدين بالشكر هذه حال المؤمن.

وأما الكافر فهو علىٰ شرٍّ -والعياذ بالله- إن أصابته الضراء لم يصبر بل يضجر، ودعا بالويل والثبور، وسبَّ الدهر، وسبَّ الزمن...

والحديث فيه الحث علىٰ الصبر علىٰ الضراء، وأن ذلك من خصال المؤمنين، فإذا رأيت نفسك عند

إصابة الضراء صابرًا محتسبًا، تنتظر الفرج من الله سبحانه وتعالىٰ، وتحتسب الأجر علىٰ الله فذلك عنوان الإيمان، وإن رأيت بالعكس فلُمْ نفسك، وعدِّل مسيرك، وتُبْ إلىٰ الله.

إذا علمنا جزاء الصبر وما أعده الله للصابرين، فإنه لجدير بالمسلم أن يحرص عليه ويدرب نفسه عليه حتىٰ يكون له سجية، وقد أرشد النبيّ ﷺ إلىٰ تعلم الصبر، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّىٰ نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[٢].

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣).

قوله ﷺ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ**»: أي يطلب توفيق الصبر من الله؛ لأنه قال تعالىٰ: ﴿ **وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ** ﴾ [النحل: ١٢٧] أي يأمر نفسه بالصبر ويتكلف في التحمل عن مشاقه، وهو تعميم بعد تخصيص؛ لأن الصبر يشتمل علىٰ صبر الطاعة والمعصية والبلية، أو من يتصبر عن السؤال والتطلع إلىٰ ما في أيدي الناس بأن يتجرع مرارة ذلك ولا يشكو حاله لغير ربه. «**يُصَبِّرْهُ اللهُ**»: بالتشديد أي: يسهل عليه الصبر، فتكون الجمل مؤكدات. ويؤيد إرادة معنىٰ العموم قوله: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً**»: أي معطىٰ أو شيئًا، «**أَوْسَعَ**»: أي أشرح للصدر، «**مِنَ الصَّبْرِ**»: وذلك لأن مقام الصبر أعلىٰ المقامات؛ لأنه جامع لمكارم الصفات والحالات.

وأخبر النبي ﷺ بأنَّ الصبر عند الصدمة الأولىٰ، ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال:

« **اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي** » . قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتت باب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم تجد عنده بوَّابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: « **إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَىٰ** »(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **«فإنَّ مفاجئات المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب، وتزعجه بصدمها، فإن صبر الصدمة الأولىٰ انكسر حدها، وضعفت قوتها، فهان عليه استدامة الصبر، وأيضًا فإنَّ المصيبة ترد علىٰ القلب وهو غير موطن لها فتزعجه، وهىٰ الصدمة الأولىٰ، وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطَّن لها، وعلم أنَّه لا بد له منها فيصير صبره شبيه الاضطرار، وهذه المرأة لما علمت أنَّ جزعها لا يجدي عليها شيئًا؛ جاءت تعتذر إلىٰ النبي كأنها تقول له قد صبرت، فأخبرها أنَّ الصبر**

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦).

إنما هو عند الصدمة الأُولىٰ»[٤].

- وما في البخاري ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أنه قال لعطاء: ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلىٰ، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ»**. قالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها[٥].

- وبيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ من صبر علىٰ فقد عينيه عوضه الله الجنة، ففي البخاري أيضًا عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ الله قال: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**»[٦]، **يُرِيدُ: عَيْنَيْهِ.**

(٤) عدة الصابرين (١٢١).
(٥) أخرجه مسلم (٢٥٧٦).
(٦) أخرجه البخاري (٥٦٥٣).

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**في هذا الحديث حجة في أنَّ الصبر علىٰ البلاء ثوابه الجنة، ونعمة البصر علىٰ العبد، وإن كانت من أجلِّ نعم الله تعالىٰ فعوض الله عليها الجنة أفضل من نعمتها في الدنيا؛ لنفاد مدة الالتذاذ بالبصر في الدنيا، وبقاء مدة الالتذاذ به في الجنة**»(٧).

(٧) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٣٧٧).

الأسباب التي تعين المسلم على الصبر على البلاء:

الإيمان بقدر اللّه:

إن إيمان العبد بقدر الله النافذ واستسلامه له أكبر عون له علىٰ تحمل المصائب، وعلم العبد بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣]، واعلم أن الجزع والهلع والتبرم والضيق لا يرد من قدر الله شيئًا فلابد من الصبر أول الأمر لئلا يحرم العبد من المثوبة ولئن لم يصبر أول المصيبة فإنه سيقبل بها بعد

ذلك شاء أم أبىٰ ولا أجر له.

الاستعانة باللّه:

مما يعين المبتلىٰ علىٰ الصبر علىٰ البلاء أن يستعين بالله تعالىٰ ويلجأ إليه سبحانه، فيشعر بمعيته سبحانه وأنه في حمايته ورعايته، ومن كان في حمىٰ ربه فلن يجزع ولن يُخذل، بل سيكون الرضا مآله، والثواب جزاؤه، ولذا قال موسىٰ لقومه بعد أن هددهم فرعون بما هددهم به ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

اليقين بحسن الجزاء عند اللّه تعالى:

إن مما يرغب الإنسان في الصبر وتحمل البلاء، ويزيده ثباتـًا فيه علمه بحسن جزائه في الآخرة، ولا نجد في القرآن شيئـًا أعظم جزاء من الصبر، فيقول سبحانه:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]، ويصرح بأن أجرهم غير معدود ولا محدود فيقول: «**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**»، وقد ذُكِّر المؤمنون بهذه الحقيقة في الكلمة التي أمروا أن يقولوها عند حلول المصائب: «**إنا لله وإنا إليه راجعون**»، فيتذكرون أنهم سيرجعون إلى الله فيجزيهم على عملهم وصبرهم أحسن الجزاء وأوفاه.

يقول أبو طالب المكي: «**وأصل قلة الصبر: ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له، لأنه لو قوي يقينه، كان الآجل من الوعد عاجلاً إذا كان الواعد صادقًا، فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء...**».

معرفتك بأنك وما بيدك ملك لله تعالى ومرجعك إليه:

قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، وقد

علمنا في كتاب ربنا أن نقول عند حلول المصائب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلىٰ عن مصيبته:

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عَزَّوَجَلَّ، وقد جُعل عند العبد عارية.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلىٰ الله مولاه الحق، ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره. ويجيء ربه فرداً كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بدايته ونهايته، فكيف يفرح بموجود ويأسىٰ علىٰ مفقود؟ ففكره في مبدئه ومعاده أعظم علاج هذا الداء، ولذلك يقال عند تعزية المصاب «**إن لله ماأخذ وله ما أعطىٰ، وكل شيء**

عنده بأجل مسمىٰ».

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية